الدرس (٠٣٦) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا نزال في باب المجاهدة من كتاب رياض الصالحين لأبي زكريا النووي رحمه الله تعالى.

يقول المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى:

٩٦- (الثَّانِي: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: «**إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١]).

هذا الحديث العظيم المبارك، فيه حثٌّ على مجاهدة النَّفس على العمل بطاعة الله، والمسارعة إلى التَّقرُّب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بجميع وجوه الخير، وأبواب البِرِّ، مشيًا وسعيًا وعملًا وتقرُّبًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصالح الأعمال، وسديد الأقوال، طلبًا لرضاه، والفوز بثوابه.

ولهذا تكَّرر في الحديث: "إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ"، أي: إذا بذل وسعه وجدَّ واجتهد في التَّقرُّب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن ذلك الأعمال الَّتِي تحتاج إلى مشيٍ وخطوات وسيرٍ وسعيٍ في طلب ثواب الله، ونيل رضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وغالب الأعمال تحتاج إلى ذلك.

---

(١) رواه البخاريُّ (٧٥٣٦).

وقد أخبر الرَّبُّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في هذا الحديث -وهو حديثٌ قدسِيٌّ- أنَّ مَن تقرَّب إليه شبرًا؛ تقرَّب إليه الرَّبُّ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى ذراعًا، ومَن تقرَّب إلى الله ذراعًا؛ تقرَّب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى منه باعًا، ومَن أتاه يمشي أتاه هرولة.

وهذا فيه: أنَّ العبد كُلَّما زاد مسارعةً وإقبالًا على الله جَلَّوَعَلَا؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يتقرَّب إليه، ويترتَّب على ذلك ثوابُه الجزيل، وأجره العظيم الَّذِي أعدَّه سبحانه لأوليائه وعباده المتقرِّبين إليه.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٩٧- (الثَّالِث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(٢)).

هذا حديث عظيم في باب مجاهدة النَّفس على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يستغلَّ العبد ما أعطاه الله من صحَّةٍ وفراغٍ؛ ليعمل في طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ لأنَّ الصِّحَّة لا تدوم، والفراغ يعقبه الشُّغل، فيحتاج العبد إلى أن يستغل صحَّته وفراغه في طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وما يقرِّب إليه، لكن واقع كثير النَّاس، كما أخبر النَّبِيُّ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، أنَّهم مغبونون في هاتين النِّعمتين: نعمة الصِّحَّة ونعمة الفراغ.

ومعنى مغبون، أي: أنَّه ليس رابحًا من صحَّته، ولا مستفيدًا من فراغه، بل إنَّ صحَّته تذهب، وفراغه ينتهي، دون أن يُحْسِن الاستفادة منهما، ثمَّ إنَّه بعدُ يندمُ أشدَّ النَّدم على تضييعه لصحَّته وفراغه، ولا يفيده ذلك النَّدم، وعند حضور الأجل يندم الإنسان على ما كان منه من تفريطٍ وإضاعة، لكن ندمه لا يفيده ولا ينفعه شيئًا، وفي القرآن الكريم آياتٌ عديدة، فيها الإخبار عن ندم مَن ضيَّع أوقاته، وأهدر صحَّته، فيما لا ينفعه، وفيما يضرُّه وذلك عند دنوِّ مفارقة الدنيا، ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(٢) رواه البخاريُّ (٦٤١٢).

قال ابن الجوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّه قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون مُتَفَرِّغًا للعبادة لاشتغاله بأسباب المعاش وقد يكون مُتَفَرِّغًا من الأشغال ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا للعبد ثمَّ غلب عليه الكسل عن نيل الفضائل فذاك الغبن، كيف والدُّنيا سوق الأرباح والعمر أقصر والعوائق أكثر»(٣).

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٩٨- (الرَّابع: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟!**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٤).

هذا لفظ البخاريِّ، ونحوه في الصَّحيحين من رواية المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٥)).

في هذا الحديث تذكر الصَّحابيَّة الجليلة أمُّ المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عبادةَ النَّبيِّ ﷺ في اللَّيل، وقيامه متهجِّدًا يناجي ربَّه، ويتلو كلامه، ويذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويثني عليه، ويدعوه جَلَّ وَعَلَا، وأنه كان ﷺ يقوم من اللَّيل قيامًا طويلاً، حتَّى إنَّه كما أخبرت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تتفطَّر قدماه، أي: من طول القيام، وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ قيام النَّبيِّ ﷺ في القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المُزَّمِّل: ٢٠]، فذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قيام النَّبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنَّه أحيانًا يقوم أكثر اللَّيل، وأحيانًا يقوم نصف اللَّيل، وأحيانًا يقوم ثلث اللَّيل صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، فيقوم قيامًا طويلًا.

وتذكر عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في هذا الحديث أنَّ النَّبيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من طول قيامه تتفطَّر قداه، ومعنى تتفطَّر، أي: أنَّ الدَّم يتحجَّر في القدمين، ممَّا يؤدِّي إلى تفطُّر القدمين من طول القيام.

---

(٣) انظر: كشف المشكل من حديث الصَّحيحين لابن الجوزيِّ (٢/ ٤٣٧).

(٤) رواه البخاريُّ (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٥) رواه البخاريُّ (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩).

وكان بعض شباب الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقومون معه صلى الله عليه وسلم أحيانًا، منهم: عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام مرَّةً مع النَّبِيِّ صلوات الله وسلامه عليه، فقام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قيامًا طويلًا، يقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأطال حتَّى هممت بأمر سوء، قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه.

وكذلك ابن عبَّاس رضي الله عنهما ذكر قيام النَّبِيِّ ﷺ ثمَّ قال: فجئت فقمت إلى جنبه فقمت عن يساره فأخذني فأقامني عن يمينه فتكاملت صلاة رسول الله -ﷺ- ثلاث عشرة ركعة.

وكذلك حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخبر أنَّه مرَّةً قام مع النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقرأ البقرة والنِّساء وآل عمران، وهذه تزيدُ عن خمسة أجزاء، قام بها النَّبِيُّ صلوات الله وسلامه عليه، فهذا كلُّه داخل في باب المجاهدة، مجاهدة النَّفس.

وفي الحديث ترغيب في أن يكون للعبد حظٌّ ونصيب من الثُّلث الأخير من اللَّيل، فهو وقتٌ مباركٌ، وساعةٌ كريمة، ولحظاتٌ هي من أشرف اللَّحظات وأكرمها، وفيها ينزل الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى السَّماء الدُّنيا، فيقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(٦).

ثمَّ إنَّ أمَّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرت في هذا الحديث، أنَّها سألت النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قالت: (لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟!)، أي: لماذا تقوم هذا القيام الطَّويل، وأنت قد غُفِرت لك الذُّنوب المُتَقَدِّمة والمُتَأَخِّرة؟ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟!**» أي: أنَّ غفران الله له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، هذه نعمة عظيمة وكبيرة، امتنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه بها، وتفضَّل عليه بها، فهو ﷺ يُحِبُّ أن يكون عبدًا شكورًا لله على نعمه.

---

(٦) رواه البخاريُّ (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

و أفاد هذا الحديث: أنَّ مِن شكْر الله على النِّعمة العمل بطاعته، كما قال الله في القرآن الكريم: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ:١٣].

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٩٩- (الخَامِس: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٧).

والمراد: العشر الأواخر مِنْ شهر رمضان، و«المِئْزَرُ»: الإزار، وَهُوَ كناية عن اعتزالِ النِّساءِ. وقيلَ: المُرَادُ تَشْمِيرُهُ لِلعِبَادةِ، يُقالُ: شَدَدْتُ لِهَذَا الأمْرِ مِئْزَري: أي تَشَمَّرْتُ وَتَفَرَّغْتُ لَهُ).

وهذا الحديث أيضًا هو في باب: المجاهدة، وأنَّ العبد ينبغي عليه أن يغتنم الأوقاتِ الفاضلةَ، والسَّاعاتِ الشَّريفة، وألَّا يجعلها تضيعُ وتذهب دون أن يستفيد ممَّا جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها من خيرٍ وبركةٍ، فالعشر اللَّيالي الأخيرة من ليالي رمضان هي خير ليالي السَّنة وأفضلُها، وفيها ليلةٌ واحدة، وهي ليلة القدر، خيرٌ من ألف شهر، أي: خيرٌ من أكثر من ثمانين سنة، وهذا فيه دلالة على عظم بركة هذه اللَّيلة، وأيضًا عظم فضل العشر الأواخر من رمضان، الَّتِي فيها هذه اللَّيلة.

فمثل هذه المواسم المباركة تحتاج من العبد إلى مزيد من العمل، ومزيد من المجاهدة للنَّفس، حتَّى يغنم بركة الأوقات الفاضلة، واللَّحظات الشَّريفة، وقد كان من هديه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أنَّه إذا دخلت العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، (أَحْيَا اللَّيْلَ)، أي: بالعبادة والتَّهجُّد، وقراءة القرآن، وذكرِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، (وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)، أي: ليغنموا هذا الوقت، ويستفيدوا ممَّا فيه من خير وفضل وبركة.

---

(٧) رواه البخاريُّ (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

وهذا فيه: أنَّ الرَّجل الصَّالح في بيته لا يكتفي بفعله للصَّالحات وحده، بل يحثُّ أهله وولده، ويُرَغِّبهم في الخيرات، ويحثُّهم عليها، ويُبَيِّن لهم فضلها، حتَّى يعمل البيت كلُّه طَاعةً وتقربًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقوله: (وَجَدَّ) أي: في العبادة، وقيام اللَّيل، وقراءة القرآن، ليغنم جميع لحظات تلك اللَّيالي الشَّريفة الفاضلة الكريمة.

وقوله: (وَشَدَّ المِئزَر): قيل هو عبارة عن الاجتهاد في العبادة زيادة على عادته في غيرها، وقيل المراد اعتزال النساء للاشتغال بالعبادة.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

١٠٠ - (السَّادِس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٨)).

هذا الحديث من جوامع الكلم وهو من الأحاديث العظيمة في باب: المجاهدة.

قول النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صدر هذا الحديث: «**الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**» المراد بالقُوَّة هنا قوَّة الإيمان والطَّاعة والعبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس المراد قوَّة البدن.

وقوَّة البدن أحيانًا تكون وبالًا على الإنسان، إن لم يستعملها في الطَّاعة واستعملها في المعصية، وقد تقدَّم قريبًا قول النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**»(٩)، فكثير من النَّاس يكون عنده صحَّة وقوَّة في بدنه، لكن لا ينتفع بها فيما

---

(٨) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٩) رواه البخاريُّ (٦٤١٢).

يُقَرِّبه إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فيوجد مَن هو قويُّ البدن تامُّ الصِّحَّة ولكنه لا يذهب للمساجد لأداء الصَّلوات الخمس لضعف عزيمته ووهن قلبه.

عن شميط بن عجلان رحمه الله قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ قُوَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي قَلْبِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهَا فِي أَعْضَائِهِ، أَلَا تَرَوْنَ الشَّيْخَ يَكُونُ ضَعِيفًا يَصُومُ الْهَوَاجِرَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ، والشاب يَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ» (١٠)

قد يتعجب المرء وهو يرى بعض كبار السن بأبدانهم الضعيف يتحامل الواحد منهم على نفسه متكأً على عصاه يجر قدميه لا يتخلف عن الصلوات الخمس في بيوت الله، ويزول عنه هذا العجب إذا علم أن هذا عائد إلى ما آتاهم الله من قوة إيمان في قلوبهم، بخلاف ضعيف القلب لا يتمكن من النهوض إلى الصلاة ولو كان من أقوى الناس بدناً.

وقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم ومَن اتَّبعهم بإحسان، قد يضعف بدن الواحد منهم بسبب الكِبَر، أو بسبب المرض، فلا يتخلَّف عن الصَّلاة؛ لقوَّة إيمانه مع ضعف بدنه، وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه، أنه قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ –أي: من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم– يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ**»(١١)، ونبيُّنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نفسه في أيَّامه الأخيرة لمَّا اشتدَّ به المرض، كان يستند على اثنين من أصحابه لضعف بدنه واشتداد مرضه، يُهَادى بين رجلين ورجلاه تخُطَّان في الأرض ليُؤَدِّيَ الصَّلاة في المسجد.

فالقوَّة في قوله: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ**» قوَّة الإيمان، أي: القوي في إيمانه وطاعته وعبادته لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وإذا انضمَّ مع قوَّة الإيمان قوَّة البدن، فهذا خيرٌ على خير؛ لأنَّه سيزداد العمل، وتزداد الطَّاعة، ويزداد الإقبال على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قوله: «**خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**» أي: من المؤمن الضَّعيف في إيمانه.

---

(١٠) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٩٠٥).

(١١) رواه مسلم (٦٥٤).

وهذا فيه دليل: على أنَّ الإيمان يزيد وينقص، ويقوى ويضعف، وأنَّ أهله ليسوا فيه سواءً بل متفاوتون، منهم القويُّ ومنهم الضَّعيف.

ثمَّ إنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر بعد ذلك جملة احترازيَّة، وهي قوله: «**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**» حتَّى لا يظنَّ أنَّ المؤمن الضَّعيف لا خير فيه، بل المؤمن الضَّعيف فيه خير، وهو خيرٌ من غير المؤمن، فالمؤمن الضَّعيف، أي: الضَّعيف في إيمانه، خيرٌ ممَّن ليس بمؤمن.

وهذا فيه: أنَّ حظَّ الإنسان من الخيريَّة بحسب حظِّه من الإيمان، ومَن فقد الإيمان فلا خير فيه؛ لأنَّ الإيمان هو الأساس، فإذا فقد الإيمان فلا خير في الإنسان.

ثمَّ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللّهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ**».

فقوله: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» فيه حثٌّ على المجاهدة، مجاهدة النَّفس على العمل في طاعة الله، وعلى بذل الوسع في الأمر النَّافع للعبد في دينه ودنياه، **لأنَّ الأمور تنقسم إلى ثلاثة أقسام:**

١- أمرٌ نافع.

٢- وأمرٌ ضارٌّ.

٣- وأمرٌ لا نفع فيه ولا مضرَّة.

والمسلم مطلوبٌ منه أن يتوافر جهده ووقته على النَّافع، وأن يتجنّب ما لا نفع فيه، وأن يتجنب أيضًا ما فيه مضرَّة، وعليه في ذلك وفي جميع أموره أن يطلب العون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا قال: «**وَاسْتَعِنْ بِاللهِ**» أي: اطلب العون من الله والجأ إليه دائمًا وأبدًا أن يعينك.

«**وَلَا تَعْجَزْ**» أي: احذر من العجز، ولا سيَّما العجز الَّذِي يصيب الإنسان في أثناء العمل، يبدأ بعملٍ نافع ومفيد، ثم في أول الطريق أو في أثناء الطَّريق أو في وسط الطَّريق يمل، ويترك العمل، ويتوقَّف عنه، ولهذا: تجد بعض النَّاس يشرع في أعمال صالحة ثمَّ يتوقَّف، أو في

أعمال نافعة ثمَّ يتوقَّف، ويقال له: لم توقَّفت؟ فيقول: مللت، أو كسلِت، وهذا يحصل كثيرًا.

فالنَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ينبِّه: مَن وُفِّق وانشرح صدره لعمل صالح، أن يستمرَّ ولا يعجز، بل يمضي في الخير مجاهدًا نفسه، مستعينًا بربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثمَّ بيَّن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما ينبغي على المسلم عندما يصاب بمصابٍ، سواء في صحَّته أو في بدنه، أو في ماله، أو نحو ذلك، والإنسان في هذه الحياة الدُّنيا عرضة لأنواع الابتلاءات، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥]، فبيَّن النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ العبد إذا أصابه مصاب، فلا يقل: لو أنِّي فعلت كذا كان كذا وكذا؛ لأنَّها تفتح عليه عملَ الشَّيطان.

فمثلًا لو مشى في طريقٍ وحصل له حادث: فلا يقل لو أنَّني بقيت في البيت، أو لو أني لم أذهب من هذا الطَّريق، أيضًا لو أنَّه دخل في تجارة وخسر، لا يقل: لو أنَّني لم أدخل في هذه التِّجارة، أو لو أنَّني جعلت تجارتي في كذا وكذا، كُلُّ ذلك لا يصلح ولا يليق بالمسلم؛ لأنَّه يفتح عليه عمل الشَّيطان.

إذًا: ماذا يقول؟

قال ﷺ: ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، لأنَّ الأمور كلَّها بتقدير الله.

«**وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»(١٢): فإذا قلت هذه الكلمة: قدر الله وما شاء فعل، فوَّضْت أمرك إلى الله، وآمنت بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا الإيمان والتَّسليم لقضاء الله وقدره، له ثماره العظيمة، وآثاره الكبيرة الَّتِي يفوز بها المؤمن في دنياه وأخراه.

---

(١٢) رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

هذا وأسأل الله أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً وتوفيقاً، وأن يصلح لنا شأننا كله؛ إنه سميع قريب مجيب. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.